REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ دوريةٌ تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتاب
99/9440

الترقيم الدولي
977-5366-11-9

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلد الحادي والخمسون

القاهرة

٢٠١٧م

هيئة التحرير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. أحمد زكريا الشلق
أ.د. أحمد السيد الشربيني
أ.د. أشرف محمد مؤنس
د. محمد فوزي رحيل

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د. إسحق عبيد
أ.د. السيد فليفل
أ.د. عاصم الدسوقي
أ.د. عفاف سيد صبرة
أ.د. محمد صابر عرب
أ.د. محمد السيد عبد الغني
أ.د. محمد عيسى الحريري
أ.د. محمود إسماعيل عبد الرازق

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتـويات

الصفحة

النَّقْدُ التَّارِيخِي عند الإغْرِيق
نادر فتحي محمد ٧-٤١

مَظَاهِرُ ثَـقَافَة المُرْتَدِّين في الجَـزِيرَةِ العَـرَبِيَّة
صالح بن أحمد الضويحي ٤٣-٨٢

الإنْجَازَاتُ الحَـضَارِيَّـةُ والعِلْمِيَّةُ في عَهْدِ عَضُدِ الدَّوْلَة البُـوَيْهِي
(٣٣٨-٣٧٢هـ/ ٩٤٩-٩٨٢م)
محمد طه بن صلاح بن صالح بكري ٨٣-١٢٩

قَافِلَةُ حَـجِّ عُلَـماءِ مِصْرَ في القَـرْنَيْنِ الثَّامِن والتَّاسِع للهِجْرَة
أيمن فؤاد سيّد ١٣١-١٤٩

آرَاءٌ جَدِيدَةٌ حَوْلَ الصِّراعِ المُـرَابِطِي ـ المُـوَحِّدِي من خِلالِ
«الرِّسَالَة المُنـظِّمَة» لابن تُومَرْت
عودة حسان عواد أبو شيخة ١٥١-١٧٧

السُّلْطَةُ والدِّينُ في العَصْرِ المَرِينِي بالمَغْرِبِ الأقْصَى
(٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٤م)
داليا عبد الهادي طلبة ١٧٩-٢٠٤

دَوْرُ الطَّائِف في الأحْدَاثِ السَّياسِيَّة في إقْلِيم الحِجَاز خِلال فَتْرَة الحُكْم
العُثْماني الثَّاني (١٢٥٦-١٣٣٤هـ/١٨٤٠-١٩١٦م)
عبد الرحمن بن سعد العرابي ٢٠٥-٢٤٨

موقف بريطانيا من الحملة الفرنسية على مصر عام (١٧٩٨-١٨٠١م)
كاترين وجيه ٢٤٩-٢٦٥

الصفحة

طاقَمُ مَكْتَب الأمير مُحَمَّد عَلِي تَـوْفِيق بمُتْحَف قَصْرِ المَنْيَل بالقَاهِرَة
«دِراسَةٌ فَنِّيَّةٌ مُقَارَنَة»
شادية الدسوقي عبد العزيز كشك ـ مي جلال عبد الباقي عبد السلام ٢٦٧ـ٣٠٢
جَرَائِمُ الحَـرْبِ الإسْرائِيلِيَّة وانْتِهاكاتُ حُقُوقِ الإنْسَان
مروة جلال محمد دغيدي ٣٠٣ـ٣٣١
النِّـزَاعُ الأنْجلُو ـ أمْرِيكِي مع بُلْغارْيَا بشَأْنِ تَـنْفِيذِ مُعَاهَدَةِ الصُّلْحِ المُـوَقَّعَة
في فِبْراير سَنَة ١٩٤٧م
شريف محمد أحمد عبد الجَوّاد ٣٣٣ـ٣٦٠

THE USES AND ABUSES OF HISTORY
ISMAIL SERAGELDIN 5-21

المجلة التاريخية المصرية ٥١ (٢٠١٨)، ١٥١ ـ ١٧٧

آرَاءٌ جَدِيدَةٌ حَوْلَ الصِّراعِ المُـرَابِطِي ـ المُـوَحِّدِي من خِلالِ «الرِّسَالَة المُنظِّمَة» لابن تُومَرْت

عودة حسان عواد أبو شيخة(*)

ملخص البحث

يتناول البحث مناقشة الصراع المرابطي ـ الموحدي من خلال «الرسالة المنظمة» لابن تومرت بطريقة جديدة بين الدراسات البحثية، ولما كانت التجربة المذهبية السياسية الموحدية فريدة من نوعها على مستوى العالم الإسلامي مشرقًا ومغربًا، جعلها أحد المفكرين معلمًا تاريخيًا، لهذا ارتأينا الخوض في خطاب الداعي الأسطورة للدولة المهدي بن تومرت. فناقشنا وتساءلنا، ما هي أهدافه وطموحاته من خلال لغة خطابه؟ باعتبار أن اللغة تشكل الإنتاج الفكري والأدبي والسياسي، وفيما تمثلت آليات الخطاب؟

Summary

The research deals with the discussion of the Almoravid-Almohad conflict through the "structured message" of Ibn Tumart in a new way between research studies. Since

(*) أستاذ مساعد ـ قسم التاريخ ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس.

the monotheistic political experience of Almohadism is unique in the Islamic world, it is a historical landmark. Of the state Mahdi Ben Tomart. We discussed and asked, what are his goals and ambitions through the language of his speech? As language is the production of intellectual, literary and political, while the mechanisms of speech?

مقـــدمة

كانت علاقة الدين بالسياسة في الدولة الإسلامية منذ صدر الإسلام وإلى يومنا هذا من القضايا التي أثارت إشكالات وجدلًا واسعًا بين مختلف الكتاب والمؤرخين الذين عنوا بتاريخ الأمة الإسلامية بين مؤيدا لوجود الصلة بين الطرفين والنافي لها مع غلبة الرأي الأول .

يعد تناول فكرة الصراع المرابطي ـ الموحدي من خلال «الرسالة المنظمة» لابن تومرت جديدة بين الدراسات البحثية ، ولما كانت التجربة المذهبية السياسية الموحدية فريدة من نوعها على مستوى العالم الإسلامي مشرقًا ومغربًا ، جعلها أحد المفكرين معلمًا تاريخيًا[1] ، لهذا ارتأينا الخوض في خطاب الداعي الأسطورة للدولة المهدي بن تومرت . فما هي أهدافه وطموحاته من خلال لغة خطابه ؟ باعتبار أن اللغة تشكل الإنتاج الفكري والأدبي والسياسي ، وفيما تمثلت آليات الخطاب ؟

قبل الخوض في الخطاب لا بد أن نتطرق لتعريف مختصر لشخص المهدي بن تومرت ولمساره العلمي .

---

[1] مالك بن بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، تعريب عبد الصبور شاهين ، الجزائر ـ دار الفكر الجزائر ١٩٨٦م ، ٢٤ ـ ٣٦ ـ ١٦٩.

١ـ التعريف بابن تومرت

يتفق المؤرخون على أن اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، وأن ولادته كانت بمنطقة السوس[١]، وهي البيئة التي ولد وتربى فيها ابن تومرت، بيئة جبلية، وكان يسكنها في القرن الخامس قبائل بربرية تنتمي أغلبها إلى قبيلة مصمودة المعروفة بشدة البأس وقوة الشكيمة مع عصبية مستحكمة، ويغلب عليهم الجفاء والغلظة في العشرة. واشتهرت أسرته بالعلم والمكانة الدينية، وقال المراكشي عن أسرته: «قوم يعرفون بايسر غينن، وهم الشرفاء، بلسان المصامدة»[٢].

وهو من قبيلة هرغة المصمودية البربرية، واختلف المؤرخون في نسبة بين النسب البربري والعربي المرفوع إلى آل البيت. فنفت بعض المصادر المشرقية النسب الثاني[٣]، في حين أورد ابن خلكان النسب لآل البيت دون تأكيد أو نفي، وختم ذكر النسب بعبارة «الله أعلم»[٤].

في حين أكدت النسب لآل البيت المصادر الموالية للدولة الموحدية[٥] وأزاح ابن خلدون نوعا ما اللبس بهذا الخصوص؛ إذ أشار إلى أصله من هرغة إحدى بطون

---

(١) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط١ ـ بيروت، ١٩٩٠م، ٧٤. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط ٢، تونس ـ المكتبة العتيقة، ١٩٦٦م، ٤.

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، بيروت ـ دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٨م، ٤٥.

(٣) الحنبلي ابن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت بدون تاريخ، ٤: ٧٠.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان في أبناء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ـ دار صادر، ١٩٩٤م، ١: ٦٥.

(٥) أمثال صاحب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية. تحقيق: سهيل زكان عبد القادر زمامه، الدار البيضاء ـ دار الرشاد الحديثة ١٩٧٩م، ١٠٣؛ ابن القطان: نظم الجمان، ٨٧ ـ ٨٨. =

المصامدة ، ثم يعلق وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه من آل البيت ، وأورد شجرة النسب التي انتهت إلى إدريس الأكبر بالمغرب الذي تفرق ولده بالسوس بين هرغة من مصمودة[١] . حفظ القرآن الكريم ، ودرس مبادئ العلوم الإسلامية ببلده في صباه ، ولقب «بآسفو»[٢] وهو لقب بالبربرية ومعناه الضياء ، وهذا لملازمته إيقاد القناديل ليلا بالمساجد لقراءة القرآن والصلاة[٣] .

وإن كانت سنة وفاة المهدي بن تومرت متفق عليها في المصادر التاريخية وهي ٥٢٤هـ/١١٢٩م إثر جراح أصابته في موقعة البحيرة ضد المرابطين[٤] فإن الاختلاف ورد حول سنة الولادة[٥] .

١ـ١ سنة الولادة

أشار بعض المؤرخون إلى أن عمر المهدي بن تومرت عند وفاته «نحو من خمسين سنة[٦] » . وجاء عند صاحب مفاخر البربر أنه «توفي المهدي وهو ابن خمسين (كذا) سنة»[٧] . أما عن سنة الولادة فذكر ابن خلكان أو ولادته كانت

=وأشار من جهته عبد الواحد المراكشي رغم موالاته للسلطة ذكر نسبة المتصل بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب دون تأكيد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ١٢٦؛ BASSET, HENRI, *Ibn toumert, Chef d'Etat,* Paris, 1925, p.75.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ـ دار ابن حزم ٢٠٠٣م ، ٢: ٢٥٠٠.

(٢) ابن القطان : المصدر السابق ، ٨٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٩٠، ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٥٠٠.

(٤) تراجع الحادثة عند ابن القطان : المصدر السابق ، ١٦٧، عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ١٣٦ـ ١٣٧، وغيرها من المصادر كابن خلدون .

(5) NIKOS KOKOSALAKIS, *«Legitimation Power and Religion in Modern Society»*, Sociological Analysis, vol. 46, no.4, 1985, p.39.

(٦) ابن القطان : المصدر السابق ، ١٢٣.

(٧) المصدر نفسه ، ١٢٣.

«يوم عشوراء سنة خمسين وثمانين وأربعمائة»[١] . وأورد الزركشي أن الإمام ولد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة[٢] وأكد ابن قنفد أنه : «ولد بهرغة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة»[٣] ، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عمره عند وفاته ما بين الخمسين والخمسة والخمسين سنة ، فإن تاريخ ميلاده يكون ما بين ٤٦٩ه و٤٧٤هـ/ ١٠٧٦ ـ ١٠٨١م[٤] .

٢ـ١ رحلته العلمية

ما إن نتطرق لنقطة من حياة الداعية المهدي بن تومرت ، إلا ونجد فيها اختلافا بين المؤرخين ، فقد عرف تاريخ بداية رحلته العلمية هو الآخر اختلافا ، ولأن المجال لا يسعنا بالوقوف عندها بالتفصيل نكتفي بأخذ الرأي المرجح ، والمتمثل في سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م أو سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ، وهذا الترجيح استند على رواية ابن القطان الوحيدة التي أشار فيها إلى أن رحلته استغرقت ١٤ عاما[٥] ، معتمدا هو الآخر على شهادة أخته لما ذكرت أن غيابه عنهم دام ١٥ سنة في طلب العلم[٦] . في حين متفق على تاريخ رجوعه لبلده الذي كان سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[٧] .

---

(١) المصدر نفسه ، ١٢٣.

(٢) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ٤.

(٣) ابن قنفد القسطنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق : محمد الشاذلي ، النيفر عبد المجيد التركي ، تونس ـ دار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م ، ٩٩.

(٤) عبد المجيد النجان : المهدي بن تومرت ، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣م ، ٣٢.

(٥) ابن القطان : المصدر السابق ، ٦٢.

(٦) المصدر نفسه ، ١٦٧.

(7) COAKLEY, MATHEW: *«On the Value of Political Legitimacy»*. Polities Philosophy Economics, vol.10, no.4, November 2011, 82.

أما عن وجهته تشير أقدم رواية إلى أن «الإمام المهدي ﷺ جاز البحر إلى الأندلس طالبا للعلم ووصل قرطبة»[١]، ونقل عنه ذلك ابن خلدون[٢]. بيد أن المصادر لم تفصل في أمره، وهو بالأندلس، مما يعني أنه لم يطل المقام به هناك باستثناء إشارة إلى أنه قرأ على القاضي أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)[٣]. ولا يستبعد أحد الباحثين تأثره بجملة من التيارات المذهبية والفكرية التي كانت رائجة بالأندلس أمثال المدرسة الحزمية الظاهرية في الفقه والعقيدة[٤].

ومن الأندلس توجه إلى المشرق الإسلامي بدء بالإسكندرية[٥]، وفيها التقى بأبي بكر الطرطوشي وأخذ عنه (٥٢١هـ/١١٢٧م)، والراجع أن اللقاء كان في طريق الرجعة، حيث استقر بالمدينة بضعة أشهر من سنة ٥١١هـ/١١١٧م[٦].

وكانت مكة من المدن التي زارها مع أن إحدى المصادر تشير إلى أنها كانت في نهاية رحلته من العلم، إذ حج ومنها رجع إلى بلاد المغرب، وفي ذلك يقول ابن الأثير: «فحج من هناك وعاد إلى المغرب»[٧]. في حين أكد ابن خلدون عكس

---

(١) ابن القطان: المصدر السابق، ٦٢.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ٢٥٠٠.

(٣) ابن قنفد القسنطيني: المصدر السابق، ١٠٠.

(٤) العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، بيروت ـ المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ٣٠٥.

(٥) تختلف الروايات عن خط سيره إلى الإسكندرية، تشير بعضها أنه انتقل من الأندلس إلى المهدية كمحطة ومنها إلى الإسكندرية. ابن قنفد: المصدر السابق، ١٠٠؛ الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٠، وأكد التجاني، أنه مر بجزيرة جربة، إذ وجد له ذكر في المسجد الذي أقام به أيام الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس ـ الدار العربية للكتاب ٢٠٠٥م، ٥٦.

(٦) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ٨٦.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، بيروت ـ دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، مج ٩: ١٩٦.

ذلك بقوله : «.... ثم أجاز من الإسكندرية وحج ودخل العراق ...»[١] .

ومن مكة توجه نحو الشام والعراق ، وتجدر الإشارة إلى أن عبد الواحد المراكشي كان الوحيد من بين المصادر التي أرخت للدولة الموحدية من أشار إلى دخوله الشام ، ولم يكن ذلك بأسلوب التأكيد بقوله : «وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده فالله أعلم»[٢] .

وليس من المستبعد أن يكون قد زارها أثناء ذهابه من مكة إلى العراق ، وقد اتخذ بغداد مستقرا له لطلب العلم لسنوات عديدة ، وبالتالي كان للحياة الفكرية والتوجهات المذهبية بالعراق حصة الأسد في تكوين شخص وفكر ابن تومرت العلمي[٣] .

وبعد أن أمضى ابن تومرت رحلته العلمية لأكثر من عشر سنوات ، عاد إلى بلاد المغرب حاملًا معه المشروع العقائدي الجديد لأهل المغرب عامة ، ومن خلال أغلب النصوص التي تعرضت للتأريخ لابن تومرت يتبين لنا في ميزان نقد ابن تومرت ، بعض الأمور التالية :

١. قد يتفق كتاب التاريخ على الثناء في الجوانب العبادية عند ابن تومرت ، والزهد في الحياة الدنيا ـ فيما يظهر للناس ـ .

٢. يظهر من خلال شخصيته القوة في تغيير المنكر باليد ، والتأكيد على أن حكم دولة المرابطين ليست متساهلة فقط في المنكرات ، بل هي راعية لها .

٣. الحرص على إظهار الجوانب التعبدية للأتباع ، وإلزامهم بذلك .

٤. يتميز ابن تومرت بقوة حجة البيان ، والقدرة على استمالة العقول ، وتغيير الأفكار والمناهج .

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٥٠٠.

(٢) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ١٢٧.

(٣) عبد المجيد النجار : المرجع السابق ، ٧١.

٥. سعة علومه واطلاعه المتنوع على العلوم والمعارف، ساعده ذلك على كسب تعاطف الولاة وإمالة العامة نحوه.

٦. تتفق أقوال العلماء في ابن تومرت أنه صاحب همة عالية، وصبر فريد، ويسلك أشد الطرق التربوية في تربية الأتباع والمريدين.

١-٣ مؤلفاته

قبل الخوض في تحديد طبيعة الخطاب عند المهدي بين تومرت، رأينا من الضروري الوقوف على مؤلفاته وتحديد طبيعتها، فقد خلف لنا مجموعة من الآثار المكتوبة، تنوعت بين الكتب والرسائل الفقهية والوعظية منها ذات اتجاه سياسي.

ما يهمنا من آثاره هو مجموع الرسائل التي جمعت في مصنف واحد وهو «أعز ما يطلب المنسوب إليه، وأصبح معتقد وشائع أنه كتاب واحد من تأليفه؛ في حين هو مجموعة من مؤلفاته ورسائله مختلفة المواضيع متباينة المنهج[١]، في الأصول والفقه والتوحيد والحديث والسياسة والجهاد، يتضح ذلك في ما جاء على غلاف المخطوط كعنوان للتعريف به، سفر فيه جميع تعاليق الإمام المعصوم، المهدي المعلوم ﷺ مما أملاه سيدنا الإمام الخليفة أمير المؤمنين أبو محمد بن عبد المؤمن بن علي أدم الله تأييدهم ...»[٢].

جمع في هذا المصنف رسائل في أصول الدين، وهي أكثر مؤلفاته آخذة جل اهتمامه، كما شمل مسائل عديدة في العقيدة وخلاصتها، وضعها في رسالة أسماها المرشدة وهي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خال من البراهين[٣]، ورسائل في التوحيد، وهو أهم ما ألف حتى

---

(١) المرجع نفسه، ١٤٦.

(٢) المهدي بن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، الجزائر ـ وزارة الثقافة ٢٠٠٧م، ٢٩.

(٣) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ١٥٠.

اشتق اسم مذهبه منها وسمى أتباعه بالموحدين وتعتبر أساس دعوة الموحدين، ومنها رسالة في توحيد الباري، ورسالة في أن التوحيد أساس الدين، وكتاب في التوحيد باللسان البربري[١]، ويضاف إليها رسالة في العبادة، كما ضم كتاب أعز ما يطلب في العلم وشروطه وطرقه، وكتاب في الإمامة.

ألف كذلك المهدي بن تومرت في الفقه وأصوله، اشتمل مجموعة من الرسائل، وجمعت كذلك في الكتاب المذكور آنفا رسالة في الصلاة، كتاب في الطهارة، كتاب الغلول، كتاب الجهاد، كتاب تحريم الخمر، وشمل رسائل في الدعوة والموعظة، كرسالة في تسبيح الباري سبحانه وتعالى، خطبة الوداع، رسالة من المهدي إلى أتباعه يحثهم على الجهاد، رسالة إلى علي بن يوسف بن تاشفين[٢].

ما يلاحظ جليا على مجموع الرسائل المجموعة في سفر أعز ما يطلب، ذات طابع ديني مذهبي محض، لكن لم يمنع ذلك من كتابة الداعية لرسائل ذات طابع دعوي ديني سياسي. وما يهمنا بعد رصد مؤلفاته بالكتاب الجزء الأخير منه والمتمثل في مجموع الدعوة والواعظ، ومنها رسالة المهدي المعروفة بالرسالة المنظمة، لمعرفة ما إذا كانت خطاب ديني أم سياسي خاصة وأنه فقيه بالدرجة الأولى.

٢ـ خصائص وفحوى الخطاب (الرسالة المنظمة)[٣]

هي رسالة كتبها إلى أتباعه الذين سماهم (بجماعة أهل التوحيد) وفيها حث على الجهاد، وبيان لأخطاء المرابطين في العقيدة والسلوك، والخطاب غير مؤرخ

---

(١) رسائل موحدية، تحقيق: أحمد عزاوي، ط ١، القنيطرة ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٩٥م، ج ١: الهامش رقم ٥، ص ٤٤.

(2) WILLIAM AL-SHARIF: *The Dearest Quest: A Biography of Ibn Tumart*, lulu, London, 2010, p.87.

(٣) وردت الرسالة في كتاب أعز ما يطلب، ٢٥٧ ـ ٢٦٤، وفي مجموع رسائل موحدية، ١: ٤٤ ـ ٤٩.

من قبل صاحبه ، لكن يبدو أنه لم يكن إلا بعد بيعته ، وإعلانه المهدوية ؛ إذ يشير عبد الواحد المراكشي أن المهدي بن تومرت لم يكن طالبا للملك إلا بعد إعلانه أنه المهدي[١] .

كان ذلك بعد سلسلة من التمهيدات لذلك المعتقد بأنه المهدي بدأها بإيراده أحاديث الفتن[٢] ، بما يُعرب عن فساد الزّمان واختلال الأمر ، حتّى إذا استقرّ في أذهان النّاس أنّ ما أنبأت به النّصوص مطابق لما يعيشونه في الواقع ، لوّح لهم بالمخرج من الأوضاع المتردّية التي آل إليها الحال ، وليس ذلك سوى المهدي الذي «سيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورًا»[٣] . ويسوق أحاديث «المهدي المنتظر» بما لا يدع مجالا للشّكّ في أنّها تنطبق على شخصه[٤] .

وكان ذلك بمثابة إعلان المهدية لابن تومرت ، وأن مواصفات المهدي المنتظر متحققة فيه ، وعن أثرها على أتباعه ، قال ابن القطان : «فكل هذه مما جاء به الإمام المهدي مما يشهد بصدق ما أتى به ، وسعة علمه وعصمته ، فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين تولى تغيير ما أتوا به ، دالة على أشراط الساعة ، وأنه هو الإمام المهدي المنتظر الموعود ، وهذا أمر قد وضح بيانه ، وصح برهانه وسطع ضياؤه ، وارتفع سناؤه»[٥] .

---

(١) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ١٣٢.

(٢) أنور محمود زناتي : التوظيف السياسي للأَخْلاق في الصّراع المُرَابِطي ـ المُوَحِّدِي (٥١٤ ـ ٥٢٤هـ/١١٢٠م ـ ١١٣٠م) ، مؤتمر السياسي في بلاد الإسلام : الفكر ، الأنماط ، الأماكن في الفترة من ٨ـ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م ، تونس ـ مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية في المتوسط في كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ٢٠١٥م ، ٢٨٨.

(٣) ابن تُوْمَرْت : أعزّ ما يطلب ، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٤) أنور محمود زناتي : التوظيف السياسي للأَخْلاق في الصّراع المُرَابِطي ـ المُوَحِّدِي ، المرجع السابق ، ٢٨٨.

(٥) ابن القطّان : نظم الجُمَانْ ، ١٠٠.

وكانت بيعته : «إما في سنة أربعة عشر على قول أو في سنة خمس عشر على قول»[١] . وذكر في أحداث سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[٢] ، وبالتالي تاريخ هذا الخطاب كان ما بين ٥١٤ ــ إلى ٥١٦هـ ، وقبل ٥١٧هـ باعتبار التاريخ الأخير هو أول مواجهة عسكرية حقيقية بين أتباعه والجيش المرابطي[٣] .

وجه المهدي خطابه إلى جماعة الموحدين من قبائل مصمودة عصبيته التي التفت حول دعوته ومذهبه وفحوى الرسالة تمثل في :

١ـ إظهار سبب توجيه الرسالة والمتمثل في الالتفاف ومناصرة دعوة التوحيد ضد المرابطين .

٢ـ إظهار فضل الجهاد بأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة .

٣ـ إظهار فضل الشهادة بأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة ، وهذا لتشجيع أتباعه على مقاتلة المرابطين .

٤ـ أظهر وركز فيها على تلبيسات المرابطون لمنع الناس على إتباع الدعوة الموحدية .

٥ـ التأكيد على سوء السياسة المالية للسلطة المرابطية .

٦ـ الإشارة إلى محاربة وتعذيب وقتل المرابطون للمخلصين لدينهم .

٧ـ تكفير المرابطون .

٨ـ ختم الرسالة بتوصية أتباعه بأخذ حظهم من الجهاد .

وبناء على مضمون الرسالة يظهر واضحا أن خطابه لم يكن دينيا محضا على الرغم من أنه فقيه بالدرجة الأولى[٤] .

---

(١) ابن القطان : المصدر السابق ، ١٢٣.

(٢) ابن القطان : المصدر السابق ، ٨٧.

(٣) المصدر نفسه ، ١٣٠ ــ ١٣١.

(4) RACHID BOUROUIBA, *Ibn Tumart, Société Nationale d'Edition et de Diffusion,* Algier, 1982, p.34.

لقد كانت العلاقات السائدة في تلك الفترة علاقات غالب ومغلوب[١] ، ونميل إلى أن المهدي بن تومرت رجع وفي نيته العمل السياسي ولم يفصح عنه مباشرة ، وإنما بالتدرج مستغلًا الفرص لإظهار ذلك ، مع أن بعض الروايات تستبعد ذلك ، وإنما النية في مباشرة العمل السياسي كانت متأخرة ، بل هناك من اعتبره وليدة المناظرة التي أجراها مع فقيه البلاط المرابطي مالك بن وهيب[٢] ، والتي كادت أن تؤدى به إلى السجن . حيث تمت مناصحة أمير المسلمين بضرورة حبسه ، إلا أن بعض وزرائه قال : «يقبح بالملك أن يبكي من وعظه، ثم يسيء إليه في مجلسه، وأن يظهر خوفك ، وأنت سلطان ، من رجل فقير، فأخذته نخوة، وصرفه»[٣] .

ويستمر ابن تومرت ساعيًا في دعوته ، ومصطفيًا من يراه صالحًا في قبول مبادئه ، منتقلًا من مكان إلى مكان ، ومتخذًا رسالة التعليم والوعظ وإنكار المنكر ، منابر لدعوته ، ومذكرًا بفساد آخر الزمان ، مما يدل على قرب ظهور المهدي .

فكان الحدث سببًا في إرساله إلى قبائل مصمودة طالبًا التحضير لمواجهة المرابطين[٤] ، كما اعتبر حدث المبايعة بين قبائل المصامدة[٥] سببًا في التحول في نشاطه من ديني إلى سياسي[٦] .

---

(١) أنور محمود زناتي : التوظيف السياسي للأَخْلاق في الصّراع المُرَابِطي ـ المُوَحِّدِي ، المرجع السابق ، ٢٨٤.

(٢) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٩هـ ، ١٩: ٥٣٩.

(٤) روجي لي تورنو : حركة الموحدين في المغرب في القرنين ١٢ ـ ١٣م . تعريف أمين الطيبي ، الدار البيضاء ، شركة النشر والتوزيع المدارس ١٩٩٨م ، ٢٨.

(٥) ابن القطان : المصدر السابق ، ٨٧؛ البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٦م ، ٥٢.

(٦) روجي لي تورنو : المرجع السابق ، ٣١.

ولم يكن فقهاء المُرَابِطين ـ على كثرتهم ـ لم يكن لهم نشاط دعائيّ مضادّ يكافئ نشاط ابْنِ تُوْمَرْت؛ فبمجرد وصوله إلى مَرَّاكُش، حتّى بدأ نشاطه الدعائي، وتفوَّق ابن تومرت على فقهاء دولة المرابطين تفوقًا ملحوظًا[١].

ونكاد نجزم أن فحوى خطابه في الرسالة المنظمة وغيرها من الرسائل والخطابات الشفوية هي سياسة محضة، والنية كانت مبيتة، يتجلى ذلك باعتبار جملة من القرائن التاريخية، من بينها تلقيه بذور الفكر السياسي في رحلته بالمشرق الإسلامي، وغير مستبعد أن فكرة الانقلاب السياسي على المرابطين قد تخمرت بذهنه وهو هنالك؛ بحيث اكتسب فكر واسع في الأفق السياسي[٢]؛ إذ كانت الخلافة الفاطمية تعرف حالة من الضعف والتمزق، ونفس حالة كانت تعرفها الخلافة العباسية، فخبر بعيوب الأنظمة السياسية التي تميزت بالظلم والفساد وبواقع مجتمعاتها وأوضاعها المزرية[٣].

ويضاف إلى هذا الواقع عاملًا آخرًا لا يقل أهمية، والمتمثل في الحصيلة الفكرية التي جناها من الرحلة، فقد التقى «جلة العلماء.... وفحول النظار»[٤] وعلى رأسهم أبو حامد الغزالي إذا ما سلمنا برواية اللقاء[٥] الذي عرف بثورته الفكرية على التقليد ومحاربة البدع. ونفس الاتجاه الفكري كان عليه أبا بكر الطرطوشي

---

(١) أنور محمود زناتي: دور الفقهاء في الأندلس خلال عصر المرابطين، رسالة دكتوراه، كلية البنات للآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٤م، ٢٢٢.

(٢) محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، الدولة ــ المدينة ــ الاقتصاد، الدار اليضاء ـ مطبعة النجاح الجديدة ١٩٩٩م، ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ١١١.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، ٢: ٢٥٥٠.

(٥) يكاد يؤكد عبد الحميد النجار الرواية معتمدا على جملة من المقارنات والمقاربات، المرجع السابق، ١٨٢.

الذي التقى به في مصر في خط الرجعة[١]. فاستفاد من لقائهما بملكة النقد، وغرسا فيه روح الثورة على مظاهر الجمود الفكري والتقليد، ثم لا ننسى أن الطرطوشي كان فقيها متبحرا في السياسة الشرعية، فألف فيها كتاب «سراج الملوك».

وعليه لا يستبعد تأثره به، وبالتالي ما إن وصل بلده حتى كان متوفر على زاد علمي كبير، وروح ثائرة ضد الفساد الاجتماعي الذي كان نتيجة الفساد السياسي، وتجربة كبيرة في ممارسة الدعوة والتغيير[٢].

ولم يكن خط العودة ذو شأن قليل في تكوينه السياسي؛ إذ أكسبه الخط الساحلي حنكة سياسية، بحيث احتك بحكام الإسكندرية والمهدية وبجاية. ومن خلالها تعلم كيف يترجم عقيدته الدينية إلى دعوة سياسية[٣].

وكذلك من القرائن الدالة على التوجه السياسي لابن تومرت نجد خطابه ــ الرسالة المنظمة ــ كان مبنيا على تشريع العنف والغزو تحت غطاء الجهاد وتنظيمه، ومحاولة صياغته بأدلة شرعية[٤] كقوله: «إن الجهاد بالأموال والأنفس تجارة تنجي من عذاب أليم». فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[٥] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٦].

كما كان موقفه النظري واضحًا تمامًا بشأن الأوضاع الاقتصادية لأفراد المجتمع المرابطي كقوله: «... وتمادوا على الفساد في الأرض... وعلى هلاك الحرث

---

(١) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ١٢٧.

(٢) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ١٠٦.

(٣) أنور محمود زناتي: التوظيف السياسي للأَخْلاق في الصّراع المُرابِطي ـ المُوَحِّدِي، ٢٨٤.

(٤) المرجع نفسه، ٢٨٤.

(٥) الآية ١٠، سورة الصف.

(٦) الآية، ١٢، سورة الصف، مقتطف من الرسالة المنظمة، رسائل موحدية، ١: ٤٥.

والنسل، والاعتداء على الناس في أخذ أموالهم وخراب ديارهم... واستباحوا أكل أموال اليتامى والأرامل...»[١].

كما أشار إلى ظلم السلطة لأفراد مجتمعها في دينها بقوله: «.... من أعظم أباطيلهم أن من رأوه تاب إلى الله وأناب إلى الخير، واشتغل بتعليم فرائضه وما يلزمه من توحيده وغير ذلك مما يصلح به صلاته.... فكل من رأوه على هذه الصفة رموه على قوس العداوة بسهام الغل عدوانًا وظلمًا وقالوا له ضللت وخرجت من الدين. ونسبوه إلى البدعة ليسدوا بذلك باب التوبة...»[٢].

واعتبر التابعين للسلطة مجسمين بل كفارًا بقوله: «...فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر»[٣] ثم «فمن قتل من المجسمين والمفسدين فهو في النار، ومن قتل من الموحدين المجاهدين فهو شهيد»[٤]، وبالتالي كان المهدي بن تومرت فقيه سياسي كما سماه أحد الباحثين[٥].

ما يلاحظ على هذا الخطاب أنه جاء في خطين متوازيين، خط تربوي ديني، وخط سياسي ثوري، واضعًا أسس دعاية قوية ناجحة، مبنية على قواعد التلقين وقوانين التدرج في الإدلاء بالحقيقة حسب موهبة واستعداد المتلقي، فنجح في نشر دعوته[٦]، لهذا تميز في خطاباته كانت كتابية أو شفوية بقوة الإقناع؛ إذ كانت بلاغته قادرة على الاستحكام والتغلغل في نفوس مستمعيه[٧].

---

[١] مقتطف من الرسالة المنظمة، الخطاب المعنى بالدراسة، رسائل موحدية، ١: ٤٧.

[٢] مقتطف من الخطاب، رسائل موحدية، ١: ٤٧.

[٣] مقتطف من الخطاب، رسائل موحدية، ١: ٤٦ ـ ٤٧.

[٤] مقتطف من الخطاب، أعز ما يطلب، ٢٦٤.

[٥] محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، الرباط، جذور للنشر ٢٠٠٦م،، ٢٠٠٦، ٢١.

[٦] عبد الله العروي: المرجع السابق، ٣٠٧.

[٧] بوجي لي تورنو: المرجع السابق، ٣٣.

وإن كان نجاحه في إقناع تابعيه من المصامدة نتيجة قوة بلاغته وعقيدته الصارمة[١]، فإن العامل السياسي المتمثل في العداء العرقي القديم بين صنهاجة ومصمودة أهمية كبرى في تلقيه استجابة عصبيته، وبالتالي عرف بن تومرت كيف يستغل الإطار التفاعلي والتواصلي الذي تندرج فيه الأبعاد الزمانية والمكانية، أي الجو النفسي للمتلقيين، إضافة إلى العلاقة الرابطة بين العناصر الثلاثة، صاحب الخطاب والمتلقي والسلطة القائمة.

هذا ولم يخل خطابه المعني بالدراسة من مميزات الخطاب الديني إلى جانب الخطاب السياسي، إذ تبين أنه توفرت فيه شروط الخطابين، فمن مميزات الخطاب الديني أن له أصول عقائدية وقواعد تشريعية، ويتسم بالثبات والموضوعية والمبدئية، وواضح الغايات والمقاصد، لأن ابن تومرت استوحى ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حتى يكسب خطابه قوة ومصداقية، كما دعا في خطابه إلى تجديد لفهم تعاليم الإسلام وليس تجديد لأمر الدين كله[٢].

ويظهر المغزى والهدف السياسي أكثر في خطابه لما تعرض للواقع الاجتماعي والديني والمالي المجتمع المرابطي، مشيرا إلى السياسة المنهجية في ذلك من قبل السلطة، ولا يتسنى تداول الواقع المعاش إلا في مثل هذا النوع من الخطاب[٣].

هذا وقد احتوى خطاب ابن تومرت الثنائية المتعارضة كالحق والباطل والخير والشر كقوله: «... تعاونكم على إظهار الحق واجتماعكم على إخماد الباطل

---

[١] المرجع نفسه، ٣٣.

[2] COICAUD, JEAN-MARC, *Legitimacy and Polities: A Contribution to the Study of Political Right and Political Responsibility,* edited and translated by David Ames Curtis Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002, p.126.

[3] GOLDZIHER, IGNAZ, *Mohammed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam, dans le nord de l'Afrique au XIe sécles,* Alger: imprimerie orientale Pierre Fontana, 1903, p.57.

والضلال»[١]، وقوله: «... فجمعوا بينهم المودة والرحمة، وجعلوا بينهم وبين عدوهم الشدة والغلظة»[٢] وهذا لأنه كان يرى أن خلاص الأمة الإسلامية لا تكون إلا بالعمل السياسي المعتمد على مراجعة إيديولوجية جذرية بالعودة إلى مصادر الإسلام الصحيحة[٣].

ولم يخل خطابه كذلك من الدلالات اللغوية، وثرائه بتعابير اليقين بالنصر والجزاء الحسن عند الله عز وجل كقوله في ختام خطابه: «واعلموا أن الله لا يخلف وعده، ولا بد أن ينصر الحق كما وعد، ويبطل الباطل كما وعد، فخذوا حظكم من الجهاد على الحق ونصره، فحزب الله هم الغالبون ...»[٤] وبذلك ربط العديد من العناصر اللغوية بالعوامل الخارجية[٥].

وبناء على ما تقدم، هل جاز لنا طرح السؤال التالي: هل المهدي بن تومرت طالب ملك اتخذ من الدين وسيلة؟

كان وقوف الفقيه إلى جانب السلطان بغية ترشيده ومنعه من الزيغ قاعدة شبه ثابتة في تاريخ الدولة الإسلامية، ولأن الثاني لم يشأ أن يتجاوز دور الأول حدود منح التزكية المطلوبة، والبحث عن مسوغات وتبريرات مشروعة لتصرفاته[٦]،

---

(١) مأخوذ من الخطاب، رسائل موحدية، ١: ٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ٤٧.

(٣) محمد زنيبر: المرجع السابق، ١٤٤.

(٤) مأخوذ من الخطاب، رسائل موحدية، ١: ٤٩.

(٥) خلص بنفيست في إطار دراسة شروط إنتاج الخطاب وفهم آليات توظيف اللغة إلى نظرية المقاربة التلفيظية في الخطاب.

CHAROLLES M., *Combettes B, «Contribution pour une histoire recente d'analyse de discours»,* in «Lanbgure francaise» N 121, Feyrier, Larousse, 1999.

(٦) سعيد بنسعيد: الخطاب الأشعري، مساهمة في دراسة العقل العربي الإسلامي، بيروت ـ دار المنتخب العربي ١٩٩٢م، ٢٦٠.

ارتأى الفقيه تأسيس سلطة علمية منافسة للسلطة السياسية التي استأثر بها الحاكم[١]، مستغلا ممارسة السياسة بواسطة مفاهيم دينية[٢]، فقام «بإعادة تأصيل المفاهيم الشرعية وتوحيدها وتقنين وتحديد فهم مقاصدها»[٣] ومع ذلك لم يستطع تبوأ وظيفة سياسية في شكل سلطة قيادية محورية، بل كانت النتيجة اكتفاء باستتباع صاحب السلطة السياسية لصاحب السلطة العلمية[٤].

تجربة الفقيه في الإطار السياسي الآنفة الذكر، ما كان المهدي بن تومرت ليرضى بها على نفسه، ويكتفي بالتوجيه الفقهي والإرشاد للسلطان، لهذا لم يكتف بالوعظ المجمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل رأى من الضروري الربط بين الجانب المعرفي والواقع والجانب النظري والعلمي[٥]. فرغبته لم تتوقف عند تحصيل العلم بل كانت ترمي إلى تجديد الاسلام، الأمر الذي حتم عليه الالتزام الفكري والالتزام السياسي[٦].

وهو الأمر الذي عبر عنه ابن خلدون بقوله: «وأفاد علما واسعا، وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده»[٧] لهذا اجتهد منذ البداية بالبحث عن منهاج سياسي، فكان طول مقامه بملالة يوحي بفكرة العمل السياسي؛ إذ أطال بها

---

(١) لخضر بولطيف: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، الجزائر ـ منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ٢٠٠٥، ١٨.

(٢) محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٥م، ٥٧.

(٣) عبد المجيد الصغير: الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، بيروت ـ دار المنتخب العربي ١٩٩٤م، ١٥٤.

(٤) لخضر بولطيف: المرجع السابق، ١٩.

(٥) محمد زنيبر: المرجع السابق، ١٥٩.

(٦) المرجع نفسه، ١٤٩.

(٧) ابن خلدون: المصدر السابق، ٢٥٠٠.

الوعظ والإصلاح، وهنالك التقى الرجال وتخير منهم الأكفاء، يعول عليهم في مشروعه الديني والسياسي[١].

هذا وعمل على استكمال معالم مشروعه السياسي أساسه وجوب الإمامة، مرتكزة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعنها قال: «ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب قيام الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة»[٢]، ويعطيها المغزى السياسي بقوله: «معنها الإتباع والاقتداء»، والسمع والطاعة والتسليم والامتثال الأمر واجتناب النهي، والأخذ بسنة الإمام في القليل والكثير»[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن الخطاب المعني بالدراسة لم يكن إلا بعد إعلانه للمهدوية، واعتبرت هذه الأخيرة وسيلة هامة في التعبير عن المعارضة السياسية للنظام القائم[٤]. مع أنه لم يتلقب بهذا اللقب صراحة في رسائله[٥].

الإشكال الذي يطرح في هذا الصدد، هل كان بالفعل يؤمن بمهدويته أم تبناها لضرورة سياسية؟ لا يستبعد أن يكون تبناها لهدف سياسي، خاصة وأن هذه الأخيرة ارتكزت في مضمونها الإيديولوجي على الثورة الشاملة ضد الوضع القائم، كما شكلت في العالم الإسلامي الطور النهائي لمعارضة سرية، بل التفجير الثوري المتجه نحو الاستيلاء على الحكم، وأن سلطتها مستمدة من إرادة الله[٦].

---

(١) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ١١١.

(٢) المهدي بن تومرت: المصدر السابق، ٢٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ١٣٢.

(٤) محمد زنيبر: المرجع السابق، ١٣٢.

(٥) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ٢٤٤.

(٦) محمد زنيبر: المرجع السابق، ١٥٨ ـ ١٥٩.

لهذا شمل خطابه الدعوة إلى الإصلاح الديني والدنيوي ، وأوضح أنه لا يتسنى ذلك إلا بالجهاد وإسقاط النظام القائم ، وبالتالي بدأ حركته بالوعظ ثم تحول رسميًا إلى زعيم حركة دينية سياسية منظمة .

ويكون بهذا خرج عن النظرية والقاعدة الذي أثبتها عالم الاجتماع ابن خلدون «في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها»[١] ؛ وأوضح السبب في ذلك ، فطريقة التفكير ومعالجة الوضع تختلف بين العالم والسياسي ، فالعلماء «معتادون على النظر الفكري والغوص على المعاني ... ليحكم عليها بأمر على العموم ، لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ... ويقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها ، بما اعتادوه من القياس الفقهي ، فما تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في الذهن .... والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها فإنها خفية ...»[٢] ، وعليه لما نتتبع السير العلمي والفكري وربطه بواقع المغرب المرابطي نجده جمع بين وظيفة الرجلين معا .

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن :

ـ استطاع المهدي بن تومرت أن يقدم في خطابه لأتباعه على أن النظام المرابطي جهاز متسلط ومستغل وفاسد في الجانب الديني والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي ، فلقي تجاوب من أغلبية ناقمة على الحكم المرابطي ، وكان الجانب الاجتماعي أكثر من غيره في إكساب الثورة الموحدية عمقها وفعاليتها .

ـ اتبع أسلوبًا مبنيًا على التدرج في الدعوة الدينية ثم السياسية بعيدًا عن التهور والارتجال ، فوصل إلى مبتغاه السياسي دون التصريح به علنا ، مع البقاء ظاهريًا في

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ١: ٤٥٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٤٥١.

الميدان العلمي الديني . فتمكن عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على خلق تيار جديد في المجتمع ينشد التغيير .

ـ قام مشروعه على دعائم سياسية المجملة في المضمون العقدي ، الذي تستلهم منه الثورة كافة مقوماتها ، ومضمون منهجي يرسم الطريق الذي تصاغ به الأحكام الشرعية في مختلف جوانب الحياة ، ومضمون سياسي واجتماعي يبين الطريق الذي تطبق به تلك الأحكام في المجتمع .

ـ حمل خطابه مجموعة من المعايير الاجتماعية والأخلاقية ، فالأمر والنهي والوعد وغيرها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن تصدر دون الخضوع لمعايير حددتها الأخلاق والقيم الاجتماعية والدينية والثقافية .

ـ تتلخص قدرته ونجاحه في عملية التبليغ باستعماله السوي لقدراته الخطابية ، واكتسابه أدوات ووسائل كلامية والتحكم فيه ، إضافة إلى قواعد اختيار السياق اللفظي ، وتكيفيها مع الواقع بتوظيفه ما توفر له من إيديولوجية والثقافة من عناصر السلطة والقوة .

ـ شذ المهدي بن تومرت عن القاعدة ؛ إذ انتقل من العلم إلى العمل فخالف علماء عصره في أن يكون عونًا للسلطة أو عالمًا منعزلًا مغمورًا بين العامة .

ـ ويكفينا دليلًا على أن ابن تومرت ذو طموح سياسي بالدرجة الأولى أكثر منه مذهبي ، وهو فرض التوحيد أو علم الكلام على عامة الناس ، لأن هذا الأخير هو المجال الذي يلتقي فيه الدين بالسياسة ، وهو الطريق الذي يدخل منه العوام إلى السياسة والاشتغال بها ، وهو الأمر الذي رفضه ابن رشد .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمّد الشّيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) :
١ـ الكامل في التّاريخ ، تحقيق : د . مُحَمَّد يُوسُف الدقاق ، بَيْرُوت : دار الكتب العِلْمِيَّة ، ١٩٩٨م .
الإِدْرِيسي ، أبو عبد الله محمّد بن محمّد الحسني السّبتي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) :
٢ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق : د .محمّد حاج صادق ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعيّة ، ١٩٨٣م .
البَيْذق ، أبو بكر بن علي الصّنهاجي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) :
٣ـ أخبار المهدي بن تُوْمَرْت ، تحقيق : د . عبد الحميد حاجيات ، الجزائر : المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، ١٩٨٦م .
ابن تُوْمَرْت ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الهرغي السّوسي (ت ٥٢٤هـ/١١٣٠م) :
٤ـ أعزّ ما يُطلب ، تحقيق : د . عمّار طالبي ، الجزائر : المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، ١٩٨٥م .
٥ـ الرّسالة المنظّمة ، تحقيق : د . عمّار طالبي ؛ نشرها مع رسالة ثانية لعبد المؤمن بعنوان : «رسالتان موحّديّتان» ، ضمن أعمال المؤتمر الأوّل لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، ديسمبر ١٩٧٤، تونس : الجامعة التّونسيّة ، ١٩٧٩م .
ابن حَزْم ، أبو مُحَمَّد علي بن أَحْمَدُ (ت ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) :
٦ـ رسائل ابن حَزْم الأَنْدَلُسي ، تَحْقِيق : د . إِحْسَان عَبَّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بَيْرُوت ١٩٨٠م .
ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :
١ـ كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر ، بَيْرُوت : دار الكتب العلميّة ، ١٩٩٢م .
٢ـ المقدّمة ، تحقيق : د . درويش الجويدي ، بَيْرُوت : المكتبة العصريّة ، ١٩٩٥م .
ابن خَلِّكَان ، أبو العبّاس أحمد بن محمّد البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) :
٣ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان ، تحقيق : د . إحسان عبّاس ، بَيْرُوت : دار صادر ، ٧٧-١٩٧٨م .

ابن دِحْيَة، أبو الخطّاب عمر بن حسن الكلبي السّبتي (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م):
٤ـ المُطْرِب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: د. إبراهيم الأبياري وآخران، بَيْرُوت: دار العلم للجميع، ١٩٥٥م.
الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَدُ بن عُثْمَان:
٧ـ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
ابن رُشْد، أبو الوليد مُحَمَّد بن أَحْمَدُ (ت٥٨٤هـ/١١٨٩م):
٨ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تَحْقِيق: مُحَمَّد عمارة، دار المعارف، الْقَاهِرَة، ١٩٨٩م.
ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (حي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م):
٩ـ الأنيس المُطْرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: د. عبد الوهّاب بن منصور، الرِّبَاط: دار المنصور، ١٩٧٣م.
ابن سَعِيد، علي بن مُوْسَى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
١٠ـ المُغْرِب في حلي الْمَغْرِب، تحقيق: د. شوقي ضيف، الْقَاهِرَة: دار المعارف،، ١٩٩٥م.
الشّاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللّخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م):
١١ـ الاعتصام، نشر: أحمد عبد الشّافي، بَيْرُوت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م.
الطّرطوشي، أبو بكر محمّد بن الوليد القرشي الفهري (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م):
١٢ـ كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: د. علي بن حسن الحلبي، الرّياض: دار ابن الجوزي، ١٩٩٦م.
ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النّمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م):
١٣ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، بَيْرُوت: دار الكتب العلميّة، ١٩٧٨م.
ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمّد بن محمّد المَرَّاكُشي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م):
١٤ـ الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة: السّفر الأوّل، تحقيق: د. محمدّ بن شريفة، بَيْرُوت: دار الثّقافة، د.ت .، جزءان.
عَبْدِ الوَاحِد المَرَّاكُشي، أبو محمّد بن علي التّميمي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م):
١٥ـ المُعْجِب فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ المَغْرِب، تحقيق: د.محمّد زينهم محمّد عزب، طرابلس: دار الفرجاني، ١٩٩٤م.

ابن عبدون ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد التّجيبي الإشبيلي (ق ٦هـ/١٢م) :
١٦ـ رسالة في القضاء والحسبة ، الْقَاهِرَة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، ١٩٥٥م .
ابن عِذَارِي ، أبو العبّاس أحمد بن محمّد المَرَّاكُشي (حي سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) :
١٧ـ البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والْمَغْرِب :
أ ـ الأجزاء الثّلاثة الأولى ، تحقيق : كولان وبروفنسال ، بَيْرُوت : دار الثّقافة ، ١٩٨٣.
ب ـ الجزء الرّابع : قسم المرابطين ، تحقيق : د . إحسان عبّاس ، بَيْرُوت : دار الثّقافة ، ١٩٨٣.
ابن العربي ، أبو بكر محمّد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) :
١٨ـ العواصم من القواصم ، تحقيق : د . عمّار طالبي ، الجزائر : الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ، ١٩٨١م .
ابن العريف ، أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن مُوْسَى بن عطاء الله الصنهاجي ، (ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م) :
١٩ـ مفتاح السعادة وتَحْقِيق طريق السعادة ، تحقيق : د . عصمت عبد اللطيف دندش ، بَيْرُوت : دار الغرب الإِسْلامي ، ١٩٩٣م .
ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الصّالحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) :
٢٠ـ شذرات الذّهب في أخبار من ذهب ، بَيْرُوت : دار الآفاق الجديدة ، د .ت .
ابن القطّان ، أبو محمّد حسن بن علي الكتامي (حي سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) :
٢١ـ نظم الجُمَانْ في أخبار الزَّمَان ، تحقيق : د . محمود علي مكّي ، بَيْرُوت : دار الغرب الإِسْلامي ، ١٩٩٠م .
الفارابي ، أبو نصر محمد بن محمد (ت ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م) :
٢٢ـ التنبيه على سبيل السعادة ، تحقيق : جعفر آل ياسين ، دار المناهل ، بَيْرُوت ، ١٩٩٢م .
ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد التّميمي الدِمَشْقي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) :
٢٣ـ ذيل تاريخ دِمَشْق ، تحقيق : د . سهيل زكّار ، دِمَشْق : دار حسّان ، ١٩٨٣م .
مجهول (حي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م) :
٢٤ـ الحلل الموشّية في ذكر الأخبار المَرَّاكُشية ، تحقيق : د . سهيل زكّار وعبد القادر زمامة ، الدّار البيضاء : دار الرّشاد الحديثة ، ١٩٧٩م .

ثانيًا : المراجع العربية

علي ، الإدريسي :

٢٥ـ موقع حركة الموحدين الأولى في الصراع المذهبي ، ضمن كتاب ، الصراع الْمَذْهَبي ببلاد الْمَغْرِب ، تنسيق : د . حسن حافظي علوي (تنسيق) الرِّبَاط : منشورات كلّيّة الْآدَاب ، ٢٠٠٩م .

إسماعيل ، محمود :

٢٦ـ سوسيولوجيا الفكر الإِسْلامي ، الخلفيّة السّوسيو ـ تاريخيّة ، الْقَاهِرَة : سينا للنّشر ، ١٩٩٢ .

٢٧ـ فكرة التّاريخ بين الإسلام والماركسيّة ، الْقَاهِرَة : مكتبة مدبولي ، ١٩٨٨ .

بولطيف ، لخضر :

٢٨ـ فُقَهَاء المالِكيّة والتّجربة السّيَاسِية الموحّديّة في الْغَرْب الإِسْلامي ، فيرجينيا : منشورات المعهد العالمي للفكر الإِسْلامي ، ٢٠٠٩م .

بوتشيش ، إبراهيم القادري :

٢٩ـ إضاءات حول تراث الْغَرْب الإِسْلامي وتاريخه الاقتصادي والاجْتِمَاعِي ، بَيْرُوت : دار الطليعة ، ٢٠٠٢م .

الحداد ، حميد :

٣٠ـ السلطة والعنف في الغرب الإسلامي ، دِمشق : محاكاة للدراسات والنشر ، ٢٠١١م .

عبد الحميد ، سعد زغلول :

٣١ـ محمّد بن تُوْمَرْت وحركة التّجديد في المغرب والأَنْدَلُس ، بَيْرُوت : دار الأحد ، ١٩٧٣ .

علاّم ، عبد الله علي :

٣٢ـ الدّعوة الموحّديّة بالمغرب ، الْقَاهِرَة : دار المعرفة ، ١٩٦٤م .

٣٣ـ الدَّوْلَة الموحّديّة في عهد عبد المؤمن بن علي ، الْقَاهِرَة : دار المعارف ، ١٩٧١ .

فتحة ، محمد :

٣٤ـ الموحدون والمالكية ، ضمن كتاب ، الصراع الْمَذْهَبي ببلاد الْمَغْرِب ، تنسيق : د . حسن حافظي علوي ، الرِّبَاط : منشورات كلّيّة الْآدَاب ، ٢٠٠٩م .

المغراوي ، محمد :

٣٥ـ الموحدون والمذهب الظاهري ، ضمن كتاب ، الصراع الْمَذْهَبي ببلاد الْمَغْرِب ، تنسيق : د . حسن حافظي علوي ، الرِّبَاط : منشورات كلّيّة الْآدَاب ، ٢٠٠٩م .

ثالثًا : المراجع المعرّبة :

بالنثيا ، آنخل جنثالث :

٣٦ـ تاريخ الفكر الأَنْدَلُسي ، ترجمة : د . حسين مؤنس ، الْقَاهِرَة : مكتبة الثّقافة الدّينيّة ، ١٩٥٥.

بروكلمان ، كارل :

٣٧ـ تاريخ الشّعوب الإِسْلامية ، ترجمة : د . نبيه أمين فارس ومنير البعلبّكي ، بَيْرُوت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١.

جوليان ، شارل أندري :

٣٨ـ تاريخ إفريقيا الشّماليّة ، ترجمة : د . محمّد مزالي والبشير بن سلامة ، تونس : الدّار التّونسيّة للنّشر ، ١٩٨٣م .

رابعًا : الدوريّات والمؤتمرات .

زناتي ، أنور محمود :

٣٩ـ التوظيف السياسي للأَخْلاق في الصّراع المُرَابِطي ـ المُوَحِّدِي (٥١٤ ـ ٥٢٤هـ/١١٢٠م ـ ١١٣٠م) ، مؤتمر السياسي في بلاد الإسلام : الفكر ، الأنماط ، الأماكن في الفترة من ٨ـ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م ، مخبر النخب والمعارف والمؤسسات الثقافية في المتوسط في كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ، تونس ، ٢٠١٥م .

حمادي ، عمر :

٤٠ـ «حول مرور ابن تُوْمَرْت بالأَنْدَلُس في طريقه إلى المشرق» ، تونس : مجلّة دراسات أندلسيّة ، العدد ٦، ١٩٩١م .

الجراري ، عباس :

٤١ـ «الموحّدون ـ ثورة سياسيّة ومذهبيّة» ـ الرِّبَاط : مجلّة المناهل ، العدد ١، ١٩٧٤م .

المريني ، عبد الحق :

٤٢ـ هل ابن تومرت صاحب إصلاح ودعوة أم طالب ملك ودولة ؟ مجلة التاريخ العربي ، العدد ٦٢، الرِّبَاط : ٢٠١٣م .

خامسًا : الرسائل العلمية :

٤٣ـ دور الفقهاء في الأندلس خلال عصر المرابطين ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات للآداب ، قسم التاريخ ، ٢٠١٤م .

سادسًا : المراجع الأجنبية :

AYOOB, MOHAMMED:

44- *The Many Faces of Political Islam: Religion and Politics in the Muslim World,* Singapore: NUS Press, 2008.

BASSET, HENRI:

45- *Ibn toumert, Chef d'Etat,* Paris, 1925.

COICAUD, JEAN-MARC:

46- Legitimacy and Polities: *A Contribution to the Study of Political Right and Political Responsibility,* edited and translated by David Ames Curtis (Cambridge, UK: Cambridge University Press), 2002.

COAKLEY, MATHEW:

47- *On the Value of Political Legitimacy «Polities Philosophy Economics»,* vol. 10, no.4, November 2011.

GOLDZIHER, IGNAZ:

48- *Mohammed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam, dans le nord de l'Afrique au XIe sécles,* Alger: imprimerie orientale Pierre Fontana, 1903.

NIKOS KOKOSALALIS:

49- *Legitimation Power and Religion in Modern Society,* Sociological Analysis, vol.46, no.4 ,1985.

MERQUIOR, JOSE:

50- Rousseau and Weber: *Two Studies in the Theory of Legitimacy,* London; Boston; Henley : Routledge and Kegan Paul, 1980.

PIERSON, CHRISTOPHER:

51- *The Modern State.* London; New York: Routledge, 2004.

URVOY, DOMINIQUE:

52- *La pensee d'Ibn Tumart,* B. E. O, XXVII, 1974.